أ.د. الشيخ علي جمعة
مفتي مصر

رأي وتعقيب

السنة والشيعة*

يحزننا ما يجري في العراق من فتنة عمياء تُظهر رأسها بين السنة والشيعة وكثير من الناس يتساءلون: ما السنة وما الشيعة وما الخلاف بينهما؟ وهل يعترف بعضهم ببعض وهل هما كدينين منفصلين كما يدعي بعضهم في الغرب؟ اقول: إن الأزهر الشريف قد أعترف بالمذاهب الفقهية الثمانية التي يقلدها المسلمون في العالم في عصرنا الحاضر وهي الاربعة السنية (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) واثنان من الشيعة (وهما الجعفرية والزيدية) واثنان من خارج ذلك وهما (الإباضية والظاهرية) وهذه المذاهب الثمانية هي التي تكوّن الموسوعة الفقهية التي بدأت في سنة ١٩٦٠ بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية والتي وضع برنامجها العلامة المرحوم محمد فرج السنهوري ومعه اخرون من كبار رجال الفقه في مصر، وكان قبل ذلك قد اصدر الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت قرارا باعتماد المذهب الجعفري واعتماد الاخذ

---

* - ورد هذا المقال في صحيفة الاهرام بتاريخ الاثنين ٢٧ فبروري ٢٠٠٦ ، ص ١٣ ، العدد ٤٣٥٤٧.

منه عند اهل السنة، وهذا كله نراه مسطورا في كتب الفريقين عبر التاريخ، يعرض هذا رأي هذا ويعرض ذاك رأي الآخر مرة لمناقشته ومرة لاعتماده ومرة لنصرته وترجيحه مما يدل على انهما على دين واحد وعلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة، وعلى مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسول الله (ص) يصومون شهر رمضان لا يختلفون فيه ويصلون الخمس ويحجون البيت فما الخلاف بينهما إذن؟

١ـ يرى اهل السنة إن الرواية المعتمدة عن رسول الله(ص) تشمل نقل الصحابة كلهم عنه، وعدد الصحابة الذين رأوا رسول الله(ص) ١١٤ الف صحابي، صلّى عليه في المدينة عند إنتقاله الى الرفيق الاعلى نحو ٢٠ الف صحابي والروات عنه نحو ١٨٠٠ صحابي أي ما يزيد عن ١% من عددهم . والروات الذين في مسند احمد وهو كتاب كبير يشتمل على نحو ٣٠٠٠٠ حديث لا يزيد عن ٩٩٠ صحابيا، كثير منهم لم يرو الا حديثاً واحداً، وفي صحيح الامام البخاري ما يزيد على ٢٠٠٠ حديث من غير المكرر والصحابة الروات ٢٥٤ صحابيا (ومع المكرر بلغت عدد الاحاديث اكثر من ٧٥٠٠ حديث فانه كان يكرر الحديث الواحد اكثر من مرة طبقا لما يستفيده منه من احكام في الابواب المختلفة). وعدد الاحاديث التي رؤية عن النبي(ص) من طريق اهل السنة لا يزيد عن ٥٠٠٠٠ حديث رُويت بنحو مليون سند منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها المقبول ومنها المردود.

٢- ويرى الشيعة ان الرواية لا تكون معتمدة الا اذا كانت عن سيدنا علي كرم الله وجه ورضي الله عنه، وذلك عن طريق نسله الشريف الذي حفظه الله سبحانه وتعالى وعصمه من الخطأ، وكانت العصمة لسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه من بعد ابيه ثم لاخيه الحسين (ع) من بعده ثم لابنه علي زين العابدين من بعده ثم لابنه محمد الباقر من بعده ثم لابنه جعفر الصادق من

بعده واليه تنسب الجعفرية، ثم لابنه موسى الكاظم من بعده ثم لابنه علي بن موسى الرضا من بعده ثم لابنه محمد بن علي الجواد ثم لابنه علي محمد الهادي ثم لابنه الحسن بن علي العسكري واخيرا لابنه محمد بن الحسن العسكري، ويعتقد الشيعة انه هو المهدي ومن هنا سميت بالاثنى عشرية، ومرويات الشيعة جمعها عالم كبير هو الامام المجلسي في كتاب كبير طبع قديماً في ٢٥ مجلدا، وطبع حديثا في ١١٠ مجلدات ويشتمل على عشرات آلالاف من الاحاديث بعضها صحيح وبعضها ضعيف، منها المقبول ومنها المردود.

٣- وهذا الكم الهائل من الرواية عند كل الفريقين قد اتحدت في مساحة كبيرة جدا، واختلفت في مساحة اقل، ولقد صدرت عدة محاولات لرصد هذا الاتحاد لجعله منطلقا للتقريب بين المذهبين ولاعلام اتباع كل منهما انهما يتفقان اكثر مما يختلفان، شأنه في هذا شأن كل المدارس العلمية التي تنتمي الى دين واحد، بأصول واحدة، وكانت المحاولة الاولى بين المذاهب عن طريق بيان مشترك في الرواية على يد العلامة الاباضي يوسف الطفيش في كتابه الذي طبع في أواخر القرن التاسع عشر بمصر تحت عنوان: «جامع الشمل» طبع على الحجر في مجلد تتبع فيه الروايات المقبولة عن المذاهب المختلفة جميعا ، ثم طبع في سلطنة عمان في مجلدين طباعة حديثة ولقد حاول السيد محمد الحسيني الجلالي في جامع الاحاديث ان يبين الروايات المشتركة بين السنة والشيعة، فخرج كتاب؟! ثمَّ طبعه اولا في شيكاغو ثم بعد ذلك طبعه في ايران في ٥ مجلدات، وهو مجهود علمي محترم يبين القاعدة المشتركة التي تجمع بين الفريقين.

٤- وعندما يطلع الانسان هذه الحقائق فإنه يزداد تعجبا ويسأل: إذا ففيما الخلاف لان الاختلاف في اعتماد الرواية سوف يسبب بدون شك اختلافا في الفقه، والاختلاف في الفقه بسيط لان الفقه مبني على الظن، وما كان مبنيا

على الظن فإن للاجتهاد مجالا فيه، وإذا كان الامر امر اجتهاد فإنه يجب على كل واحد منا أن يقبل اجتهاد المجتهد الآخر، فالشيعة تبيح زواج المتعة، وهو زواج يتفق فيه الزوجان على توقيت العقد وجعل مدة له ينتهي بمجرد إنتهائها، ويجيزون للزوج ان يتزوج هذا الزواج فوق الاربعة المنصوص عليهن في سورة النساء، ويجيزون ايضا الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، وأهل السنة يحرمون المتعة ويحرمون هذا الجمع، ويمكن القول: ان هذا الوضع اكثر المواضع في الفقه اختلافا بين الفريقين وكما ترى لا يدعو الى هذا الحزن العميق الذي في قلوب العامة من الطرفين.

٥- اذا فلننتقل الى الرؤية الكلية العقدية فنرى ان أحد اهل السنة قد ذهب الى الحوزة العلمية الشيعية في القرن العشرين وجلس سنة وجمع عشرين سؤالا يعترض فيها على مذهب الشيعة الامامية وهو العلامة موسى جار الله المتوفى في القاهرة، والف بها كتابا اسماه (الوشيعة في الرد على دين الشيعة)، وقال: «انه قد عرضه على الحوزة العلمية فلم تجب عنه، ولكننا رأينا ردا عليه من جملة من علماء الشيعة لعل اخصرهم وأوضحهم هو العلامة شرف الدين الموسوي وكتابه عنوانه «الرد على أسئلة جار الله» فما هي هذه الاسئلة وما الرد عليها؟ ...

* * *

رسالة التقريب :

انا نحيّ في الاستاذ الدكتور جمعة هذا النفس التقريبي ، ونوضح: ان الشيعة تعتمد الرواية التي وثق رواتها حتى لولم ترد عن طريق اهل البيت (عليهم السلام).